

تنمية مهارات القراءة عند الأطفال

د/ مصطفى رجب

جمهورية مصر العربية

المقدمة :

نحن نعلم أطفالنا القراءة بهدف تنمية مهارات معينة لديهم فبالقراءة تتسع خبرات الأطفال وتنمو، ويتكون لديهم حب الاستطلاع للمعرفة بألوانها المختلفة، ويستطيعون معرفة الكون وما يحدث فيه من ظواهر وغرائب، وبالقراءة يتخطون حاجز الزمان فيقروون عن خبرات الماضي وتنبؤات المستقبل.

والقراءة تزود الأطفال بالمقدرة على التوافق الشخصي والاجتماعي حيث تزودهم باتجاهات إيجابية وخبرات تفيدهم في التغلب على مشكلاتهم الشخصية، وتنمي لديهم الشعور بالذات وفهمها الفهم الأمثل.

والقراءة ضرورة أساسية لإعداد الطفل الإعداد العلمي السليم فمن خلالها يكتسب ويتعرف صنوف المعرفة التي يرغب في تعليمها له، أو التي ينبغي عليه أن يتعلمها. ومن خلال القراءة تتوافر للطفل أسباب الترسية والترفيه والاستمتاع من خلال قصص أو كتب جيدة الفكرة، سهلة الأسلوب، جميلة السرد، تصور شخصياتها بدقة وأمانة شديدة⁽¹⁾

معنى القراءة:

إن طرح سؤال مثل: ما القراءة؟ يبدو غريباً، لأن كثيراً من الناس لديهم أفكار غير صحيحة عن القراءة، لكن لا بد من إجابة واضحة عن هذا السؤال.

والقراءة في رأي كثير من المفكرين - عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ- عن طريق عينيهِ، وتتطلب الربط بين الخبرة الشخصية ومعاني هذه الرموز، ومن هنا كانت العمليات النفسية المرتبطة بالقراءة معقدة لدرجة كبيرة.

وعلى هذا فللقراءة عمليتان منفصلتان:

- العملية الأولى: الشكل الاستاتيكي، أي الاستجابات "الفسولوجية" لما هو مكتوب.
- العملية الثانية: عملية عقلية يتم خلالها تفسير المعنى، وتشمل هذه العملية التفكير والاستنتاج.

والقراءة بهذا عملية تفكير معقدة، تشمل أكثر من التعرف على الكلمات المطبوعة، ولا يقر بعض المدرسين هذه الحقيقة، ويعتقدون أن الطفل الذي يقدر على النطق الصحيح للكلمات المكتوبة قارئ جيد، لكن الحقيقة أن الطفل الذي يتعرف على الكلمات والعبارات فقط يفشل غالباً في فهم ما يقرأ.

وهناك علاقة وثيقة بين القراءة الجيدة والفهم، تظهر في الدراسات التجريبية، فلقد وجد أن القراء الضعفاء يخطئون بمقدار 8.5 خطأً شفهيًا في كل 100 كلمة، ويخطيء القراء المجيدون بمقدار 1.1 فقط في كل 100 كلمة، والحقيقة أن 51% من أخطاء

الضعفاء في القراءة ترجع إلى تغير المعنى، على حين لا ترجع أخطاء القراء المجيدين إلى ذلك، ومعنى هذا أن المشكلة الأساسية للقارئ الضعيف هي فقد المعنى.

ومهارة الفهم معقدة تتضمن عدة مهارات أخرى هي:

- (1) القدرة على إعطاء الرمز معناه.
- (2) القدرة على فهم الوحدات الأكبر، كالعبرة، والجملة، والقطعة كلها.
- (3) القدرة على القراءة في وحدات فكرية.
- (4) القدرة على فهم الكلمات من السياق، واختيار المعنى الملائم لها.
- (5) القدرة على التخمين في معاني الكلمات.
- (6) القدرة على اختيار الأفكار الرئيسية وفهمها.
- (7) القدرة على الاستنتاج.
- (8) القدرة على الاحتفاظ بالأفكار.
- (9) القدرة على تقويم المقروء، ومعرفة الأساليب الأدبية، وغرض الكاتب.
- (10) القدرة على فهم الاتجاهات⁽³⁾

متى نبدأ تعليم الطفل القراءة؟

وإذا كانت القراءة للطفل مهمة لهذه الدرجة، وما ينبغي اتباعه عند تعليم الطفل القراءة، ألا يجدر بنا أن نتساءل: متى يكون الطفل مستعداً للقراءة ولتعلم أسسها ومبادئها؟ من المعروف من دراسات علم نفس الطفولة أن الاستعداد للقراءة لدى الطفل يستلزم ثلاثة أنواع من النمو:

- (1) النمو العقلي.
- (2) النمو الجسمي.
- (3) النمو الذاتي الاجتماعي.

أما النمو العقلي فيعتمد على عاملين أساسيين هما:

- (1) النضج الذاتي.
- (2) التدريب والخبرة.

ونعني بالنضج الذاتي تلك العوامل الأساسية التي تدخل ضمن مظاهر النمو العقلي، ولها تأثيرها على الاستعداد للقراءة وهي الوصول إلى عمر عقلي معين يسمح بالقراءة وغالباً لا يكون قبل سن السادسة إلا في حالات بعينها، وكذلك القدرة على تذكر أشكال الكلمات ومدى تذكر المقروء والقدرة على التفكير المجرد ثم القدرة على الربط بين المعاني وكلها عمليات عقلية معرفية تتضمن نضجاً ذهنياً معيناً.

أما التدريب والخبرة فهما حصيلة عملية التنشئة الاجتماعية والتربية الهادفة داخل الأسرة أولاً، حيث تربي للطفل في ضوء الخبرات المختلفة التي يمكنه الحصول عليها، وثانياً المدرسة. حيث التربية المقصودة والموجهة، ويبدو أثر المدرسة واضحاً على الاستعداد القرائي للطفل في زيادة الحصيلة اللغوية، وصحة النطق، والقدرة على

تركيب الجمل، واستنباط المعاني المختلفة بالإضافة إلى اتساع مدارك الطفل والقدرة على التفكير في حل المشكلات، ثم القدرة على الاحتفاظ بسلسلة من الحوادث في العقل.

أما النمو الجسمي فيقصد به الصحة العامة للجسم وسلامة الحواس الضرورية لتعلم القراءة كالسمع والبصر وسلامة أعضاء النطق ونمو العضلات المتحكمة في أطراف الأنامل في اليد اليمنى أو اليد اليسرى في حالة الطفل الأيسر "الذي يكتب بيده اليسرى".

ويقصد بالنمو الذاتي الاجتماعي نمو المهارات الشخصية والاجتماعية لدى الطفل، وذلك من خلال مدى مقدرته على التوافق الاجتماعي والشخصي مع ذاته أولاً ثم المحيطين به ثانياً، مع وجود الاستعداد العاطفي الذي يلائم بين الطفل والموقف المدرسي ويساعد على الاستجابة للعمل، فالطفل لا يستطيع تعلم القراءة بصورة أفضل ما لم يكن متزناً عاطفياً ومتوافقاً توافقاً نفسياً سليماً.

وإذا كان الأمر كما وصفنا فإن بضعة أسئلة تتبادر إلى الأذهان وهي: متى نبدأ تعلم الطفل القراءة؟ وما العلامات التي نعرف بها أنه قد بدأ نضجه واستعداده لهذه العملية؟ وهل هناك ضرورة لانتظار هذه العلامات؟ وما الأسلوب العلمي الذي نستطيع اصطناعه في مدارسنا إزاء هذه المشكلة؟

وفي إجابتنا عن هذه الأسئلة تبرز أساليب ثلاثة يمكن أن تصطنع في بدء تعلم القراءة، وهي:

- (1) أسلوب التعجيل .
- (2) أسلوب التمهيل .
- (3) أسلوب التأجيل.

وستحدث عن كل من هذه الأساليب:

1- أسلوب التعجيل:

وهو الأسلوب الذي كان وما يزال متبعاً في أكثر مدارسنا، من إكراه الأطفال جميعاً على تعلم القراءة بمجرد دخولهم المدرسة الابتدائية، سواء أكانوا مستعدين لها أو غير مستعدين. وكأنما هي قضية مسلمة أن التلاميذ جميعاً ينبغي أن يتمكنوا من تعلم القراءة في الصف الأول بالمرحلة الابتدائية متى وجد المعلم الصالح واصطنعت الطريقة المثلى في التعليم.

وهو كذلك الأسلوب الذي يتوقعه كل من "الموجه" و "ولي الأمر" جميعاً، فإذا رأى الأول عجزاً من بعض التلاميذ أو لم يشهد الآخر من ولده تقدماً في القراءة والكتابة بعد أسابيع صببت اللعنات على المدرسة وعلى المعلمين والمعلمات. وبحسبنا الآن أنا نلخص بعض الحقائق التي اهتدى إليها المربون في تجارب كثيرة أجريت، والتي يستطيع أن يلمسها كل من تدرس بنفسه للقراءة للمبتدئين.

فمن هذه الحقائق:

1) أن التكرار أو التدريب الآلي المتواصل ليس محتوماً أن يثمر النتائج⁽⁴⁾ المرجوة إلا إذا توافرت شروط أخرى بجواره، ومن هذه الشروط:
(أ) أن نضمن انتباه المتعلم وتركيزه في أثناء التكرار.
(ب) أن يكون هناك دافع يحفزه على التكرار من أجل التعلم.
(ج) أن يكون الطفل قد بلغ مرحلة النضج والاستعداد للتعلم.
فهل يراعي المعلم الذي يأخذ تلاميذ الفصل جميعاً بهذا الأسلوب الشروط المذكورة؟

2) إن تدريب التلاميذ - مهما بذل المعلم فيه من جهد - لا يجدي إلا في حالات الأطفال الذين يأتون إلى المدرسة من منازل تنقصها الخبرات، ومن بيئات يعوزها الثقافة.

3) أن إكراه الطفل على تعلم القراءة وهو غير مستعد لها قد يؤتي ثمرة طيبة ولكنها مؤقتة، وقد أثبتت بعض التجارب أنه ليس من المستحيل بالنسبة للتلاميذ المبطئين في تعلمهم، أن يتعلموا القراءة ولكن ذلك يحتاج إلى قدر كبير من الجهد والوقت لا يمكن أن يتوافرا - علمياً - في الفصول المزدهمة بالتلاميذ.

4) أن المقاومة التي يبديها كثير من الأطفال الكبار تجاه القراءة وكراهيتهم لها يمكن أن تعزى غالباً إلى إكراههم عليها قبل أن يستعدوا لها وهم مبتدئون.
وقد ثبت من دراسة حالات العجز القرائي التي أحيلت إلى عيادات القراءة أن أكثرها يرجع إلى التعجيل في تعليمها للطفل قبل أن يبلغ النضج المناسب⁽⁵⁾.

2- أسلوب التمهيل:

وعلى العكس من أسلوب التعجيل يتمشى أسلوب التمهيل مع القلب الذي يتبعه الطفل، وذلك أن يؤخذ كل طفل بالمعونة الفردية والتشجيع الذي يحتاج إليها لتعلم القراءة حينما يكون مستعداً لعملية التعلم.

والمبدأ الذي يقوم عليه هذا الأسلوب هو نفس المبدأ الذي يقوم عليه الكلام عند الطفل في الصبا، ونحن نعرف أن الطفل يتعلم الحديث بطريقة تلقائية ومن غير توجيه مقصود إذا أتاحت الظروف المناسبة. ويقصد بهذه الظروف أن يملك الطفل أجهزة السمع والنطق المناسبة. وأن يعيش في بيئة يستمع فيها إلى أحاديث الكبار، وأن تدعوه حاجات اجتماعية إلى استخدام اللغة في الاتصال. فإذا توافرت هذه الظروف فما على الآباء والأمهات إلا أن ينتظروا وهم في العادة لا يتعجلون الطفل في الحديث وإنما يمهلونه.

فهل من الممكن - إذن - أن نهيء مثل هذا الجو لتعليم القراءة دون إكراه، لقد لجأ بعض المربين إلى هذا الأسلوب وحققوا نجاحاً كبيراً، وذلك إذا توافرت ظروف القراءة التي تتلخص في امتلاك الطفل أجهزة السمع والبصر والنطق ثم إتاحة فرص القراءة، وتهيئة حاجات اجتماعية تدعو إلى القراءة وتجعلها هدفاً قريباً.

ويعتمد هذا الأسلوب من الناحية العلمية على أن الأطفال يختلفون في استجاباتهم للبيئة التي تحيط بهم⁽⁶⁾، وكل منهم يستجيب لما في هذه البيئة طبقاً لما بلغه من نضج في نموه وللطاقة التي تعمل فيه.

فهو يختار منها ما يناسبه وما هو مستعد له من خبرات، كما يرفض منها ما لا يناسبه أو ما لم يستعد له. وعلى هذا فإن على المعلم أن يمد الأطفال بالجو القرائي المناسب، ولكن الطفل نفسه سيكون الفيصل في تقرير ما إذا كان يقرأ، وفي تحديد الوقت الذي يبدأ فيه القراءة وبالتالي في استخدام المادة التي هيأها له المعلم. وقد تبدو علامات هذه الاستجابة لعملية القراءة في بعض مواقف معينة مثل تلهف الطفل على النظر إلى الصورة، وفي إلقاء الأسئلة، وفي الاهتمام بالكتب والقصص والكلمات والإعداد ومحاولة الكتابة. خلاصة هذا الأسلوب أن الطفل يتعلم القراءة بطريقة تلقائية طبيعية من غير إكراه، وكل ما يتطلبه الأسلوب أن يبدي المعلمون وأولياء الأمور شيئاً من الصبر والأناة، وأن يدعوا الطبيعة تقوم بدورها في رفق وهودة.

3- أسلوب التأجيل:

يقوم أسلوب التأجيل على افتراض أن جميع التلاميذ يكونون أكثر استعداداً للقراءة حينما يكونون أكبر في السن، وبالتالي في عمرهم العقلي، والثابت عند علماء القراءة أن الذكاء هو أهم عامل مفرد بين العوامل التي تلعب دوراً في نجاح المبتدئين في القراءة، ولكن ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن كثيراً من الأطفال يتعطلون⁽⁷⁾ في تعلمها مع أن حظهم من الذكاء كبير، وذلك لأن هناك عوامل أخرى - غير الذكاء- تلعب دورها في استعداد الطفل، كالنضج الجسمي والنضج الاجتماعي والبيئة الثقافية وعادات الطفل اللغوية وخبراته السابقة.

ولعل مما يقوي حجة أصحاب أسلوب التأجيل أنهم باصطناع هذا الأسلوب يتيحون فرصة أوسع للطفل تزداد فيها خبراته، ويتسع محصوله اللغوي، ويكمل نضجه الجسمي والاجتماعي، علاوة على ارتفاع عمره العقلي، وبذلك يضمنون له بالتأجيل نجاحاً في تعلم القراءة بما أن تلك أهم مقومات الاستعداد لها.

ولذا كان أصحاب هذا الرأي يؤمنون بالتأجيل، فليس معنى ذلك أنهم يهملون "طريقة التعليم" المتبعة أو يهوتون من شأنها في نجاح الطفل أو إخفاقه.

ولكن الذي يعنونه أن تقدم الطفل - بأي طريقة من الطرق- يتناسب تناسباً طردياً مع زيادة نضجه العقلي، وأن الطفل البطيء أقل تعرضاً للقلق النفسي والاضطرابات الانفعالية في حالة ما إذا أجل تعليمه القراءة، وأن الأطفال الذين هم أكبر سناً وأكثر نضجاً يستطيعون أن يتعلموا مهارات أكثر في وقت أقصر مما يحتاج إليه أولئك الذين هم أصغر سناً وأقل نضجاً⁽⁸⁾.

كيف نعلم الطفل القراءة؟:

حينما نقدم للطفل ما نريد له أن يقرأه، ينبغي أن نعنى بزيادة الثروة اللفظية لديه، فنثري جوانب حصيلته اللغوية بكلمات جديدة ومعاني متعددة، مع ابتعادنا عن الغريب من الألفاظ أو الإكثار المبالغ فيه من المترادفات من الكلمات.

وينبغي أن نهتم بتدريب الطفل على استنباط الأفكار والمعلومات فنسأله بعد أن يقرأ موضوعاً ما، ماذا قرأت وماذا فهمت، وهل تستطيع أن تقسمه إلى أفكار أو إلى أحداث مرحلية، فنغرس فيه الدقة والعمق في فهم المادة المقروءة.

وعلينا أيضاً أن نعود الطفل القراءة الصامتة بعد أن كان يقرأ قراءة جهرية فنوفر عليه الجهد والوقت ونساعده على زيادة فهم ما قرأه.
وحين نعلم الطفل القراءة ينبغي أن نعوده على سرعة القراءة، فنساعده على قراءة الإعلانات في وسائل الإعلام المختلفة أو سرعة تصفح الجرائد والمجلات اليومية، ولا ننسى أن نسأله ما الذي استرعى انتباهك أو استوقف نظرك وأنت تقرأ الصحيفة أو المجلة.

وحين نشرع في تعليمه القراءة - أيضاً - علينا أن نعطي من أنفسنا القدوة والمثل في حبه القراءة والمعرفة، فيتعين أن نهتم بالزاد القرائي للطفل اهتماماً موازياً بمأكله وملبسه فنوفر له القصة والكتاب والمجلة، ونشجعه على القراءة في أوقات معلومة فينشأ الطفل ومعه نفس تواقه إلى المعرفة والقراءة ويجتهد دائماً في البحث عن المعرفة أينما كانت.

وتوفير الكتاب للطفل يحتاج إلى التدقيق في نوعه فنختاره متفقاً مع ميول الطفل وفي مضمونه فنراعي فيه بساطة الفكرة ووضوحها وقرب المأخذ وسهولته، وأن يكون جيد الطبع واضح الحروف جميل الصور من ورق مصقول بحيث يشوق الطفل ويستثير اهتمامه، هذا بالإضافة إلى توفير مكان جيد الاضاءة كي يقرأ الطفل بسهولة ويسر، حيث أن الطفل يرغب في تملك الأشياء والاستحواذ عليها فينبغي أن نخصص له كتبه، ونخصص له مكتبته كلما كان ذلك ممكناً، ونعلمه المحافظة على الكتاب، فنشبع في ذاته غريزة التملك.

العوامل المؤثرة في عملية تعلم القراءة:

كان من نتائج الدراسات والأبحاث اهتمام المدرسة الحديثة بالأطفال الذين يظهرون نوعاً أو أكثر من أنواع الضعف في القراءة، ومحاولة الكشف عن هذا الضعف ودراسة مظاهره وتشخيص أعراضه ووضع أنواع العلاج له⁽⁹⁾.

وقد كانت دراسة حركات العين في القرن الثامن عشر محاولة مهمة للوقوف على طبيعة عملية الإبصار في أثناء القراءة لتمد العلماء بالأسس التي يستندون إليها في تشخيص ناحية من نواحي الضعف في تلك العملية، ثم تطورت الأبحاث في هذا الصدد.

وأدت الأبحاث الخاصة بحركات العين في أثناء القراءة إلى غيرها من الدراسات والتجارب التي تستهدف جميعها تشخيص عيوب القراءة وأصبح للقراءة عيادات تفحص عن تلك العيوب كما يفحص الأطباء عن الأمراض في عياداتهم، وتعددت الأجهزة والآلات التي تستعمل في تلك العيادات، وكثرت أنواع الاختبارات التي يستعان بها على معرفة الأدوية ووصف الدواء.

والمصطلح عليه الآن أن الطفل المتأخر في القراءة هو الذي تكون قدرته على القراءة أقل من المتوسط بالنسبة لعمره أو فرقته الدراسية. وإذا عرضنا نتائج الأبحاث المختلفة التي أجريت للوقوف على أسباب التأخر في القراءة نجد أن هذه الأسباب يمكن إرجاعها إلى ما يأتي:

- (1) عوامل بصرية.
- (2) عوامل عصبية.
- (3) عوامل متعلقة بالسمع والنطق واللغة.
- (4) عوامل جسمية عامة.
- (5) عوامل عقلية.
- (6) ردود أفعال عاطفية.
- (7) عوامل اجتماعية أو بيئية⁽¹⁰⁾.

كذلك فإن العوامل العقلية لها أثر كبير في عملية تعلم القراءة حيث إن القراءة عملية معقدة، إنها رد فعل معقد للصحيفة المكتوبة يتضمن عمليات مختلفة يقوم بها المخ.

ويتفق معظم الباحثين على وجود علاقة إيجابية بين درجات اختبار الذكاء ودرجات اختبارات القراءة، ولكنهم يختلفون في مدى هذه العلاقة، حيث أن معظم الباحثين يتفقون على أن العمر العقلي الذي يزيد على ست سنوات يتحقق معه تعلم القراءة بنجاح. والواقع أن معظم ما يحدثه الأطفال من عيوب في القراءة ينجم عن نقص في القدرة على تعلم القراءة في مراحل التعليم المبكرة. تقول "Durrell" إن الخلط بين الكلمات والتخمين عند محاولة تمييزها يكثران بين أطفال السنة الأولى الذين يقل عمرهم العقلي عن خمس سنوات⁽¹¹⁾.

المراجع:

- 1) مقال لنا بعنوان: "أطفالنا .. هل يقرؤون؟" مجلة العربي، السنة السابعة والثلاثون، العدد، 431 أكتوبر 1994، ص 166 - 167 .
- 2) أحمد عبد الله أحمد، وفهيم مصطفى محمد، "الطفل ومشكلات القراءة"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، ص 36 .
- 3) المرجع السابق، ص 36 .
- 4) محمد محمود رضوان، "الطفل يستعد للقراءة"، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، ص 69 .
- 5) المرجع السابق، ص 70 - 71 .
- 6) المرجع السابق، ص 72 .
- 7) المرجع السابق، ص 74 .
- 8) المرجع السابق، ص 75 - 76 .
- 9) محمد قدرى لطفى، "التأخر في القراءة تشخيصه وعلاجه"، القاهرة: مكتبة مصر بالفجالة، ص 29 - 30 .
- 10) المرجع السابق، ص 32 .
- 11) حامد عبد القادر، محمد عطية الإبراشي، محمد مظهر سعيد، "علم النفس التربوي: النمو العقلي"، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، ص 268 .

المصدر - المجلة الثقافية - الجامعة الأردنية